عبرة الهجرة

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغي
شيخ الجامع الأزهر

يذكرنا كر الغداة ومر العشي وما فيهما من نعمى وبؤسى ، وشدة ورخاء ، وإقبال وإدبار — تقلب الأحوال وتبدلها فى هذه الحياة . ويذكر كل أحد من الخلق بطى صحيفة من صحف الأجل ، وبالخاتمة التي لا معدى عنها ، وفي ذلك عبرة . « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »

ويذكرنا العام الهجرى خاصة بأكبر حادث فى تاريخ الإسلام له أجل الأثر فى انتصاره ، وفيه أكمل عبرة :

شريف من أشراف قومه ، وقومه من أشرف الأقوام ؛ ورجل قوى الخلق ، حلو الشمائل ، فصيح اللسان ، قوى البيان ، كامل الإنسانية ، مهذب الطبع ، رضى النفس ، شجاع مؤيد بالوحى الإلهى وبقوة الحق — ينبو به وطنه ومكان مولده ، فيهجر أرضاً حلت فيها تمائمه ، ويفارق ديارا عرفها وعرفته ، ومشاهد حلت لنفسه واتصلت بها ، وأهلاً وإخواناً أعزاء

رجل هذه صفاته ، وتلك مكانته ، يضيق له صدر القوم ، ويتنكر له الناس ، ويكيدون له حتى يخرجوه ! رجل هذه صفاته ، يفارق دياره وأهله ؛ ولو لم يكن صاحب دعوة إلى الحق وإلى غير ما ألفه الناس وأخذوه عن الآباء والأجداد ، لكان المحبب إلى النفوس ، والمرموق بالأبصار ، والمفدى بالأهل والولد . لكن الحق أزعج الباطل فلم يطق صبراً ، ودفع أهله إلى قتله أو إخراجه ؛ « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » ؛ وغطى على القلوب فأفسد على العقل ملكة التقدير « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين »

هذا موضع العبرة

وليس من غرضنا أن نلم بتاريخ الهجرة وما لابسها ، فذلك معروف فى السير ، كذلك ما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أصاب صحبه المتقين من جهد البلاء ، وجهل الجهلاء ، وكيد الكائدين ، لا يغيب أكثره عن أكثر المسلمين

* * *

الأجسام الإنسانية معرضة للأمراض كسائر الكائنات الحية ؛ وقد تعطل الأمراض وظائف الأعضاء أو تضعضعها . ومن الأمراض ما هو خاص ببعض البلاد أو بعض البيئات . وحال النفوس الإنسانية لا يختلف عن الجسوم : تصاب بالجهل ، وبالعناد ، وبالغرور ، وبالحرص على لذات الدنيا من مال وثراء وجاه وعزة ، وبالحقد على أصحاب النعم موروثة ومكتسبة ، وبحب الانتقام والإسراف فيه ، وبحب ما هو موروث عن الآباء والأجداد من مال وعقار وصفات وخلال وعقائد وتقاليد

مثل هذه النفوس المريضة لا يسهل تحولها من الشر إلى الخير ، ولا يسهل قبولها الحق وهى بحاجة إلى داع قوى بصبره ، قوى بحجته ، فيه من المناعة الخلقية ما يقوى به على احتمال الأذى والمكروه فى نفسه وذويه ، وعلى احتمال ما يرى به مما يستفز الحليم ، ويستنفد صبر الكريم ، ويعجب له الرجل العادي ، وبعده ضعيف الطبع شذوذاً وخروجاً عن المألوف . تجمعت هذه الأمراض فى قريش فاستعصى العلاج وتحير الحق ، ولم يكن أمامه إلا أن يخلد إلى الذلة والاستكانة ، أو يفر بنفسه من عنت الباطل إلى أن يجد السبيل ويعد العدة لمنازلته ؛ فليست هذه البيئة مما ينفذ إليها ضياء الحق بالدليل والحجة ، بل هي فى حاجة إلى السيف يضرب الرقاب ويفلق الهام ، وإلى أسنة الرماح تصل إلى القلوب فتشعرها بوجوب التنبه والإصغاء إلى صوت الحق . تلك أسباب الهجرة . وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم هذه البيئة الموبوءة خوف أن يختنق الحق

فى مهده ، ورجاء أن يجعله متنفساً فى أرض حرة تحضنه ، وأن يجد له قوة تعينه ، حتى يحين الأجل المضروب ، ولكل أجل كتاب

هاجر وتم له ما أراد ، إذ فتح الله له فتحاً مبينا وأعز دينه وأعلى كلمته ونصر جنده ، ودانت له تلك القبائل التى ناصبته العداء ، ولم يرض إلا بعد أن رضى الحق وانتصر ، وبعد أن انتصر غفر . فهو خادم الحق وأمينه ، وناصره ومعينه ، لا يرى أن نفسه له ، ولا أن أهله له ، ولا أن شيئاً فى الحياة له ، بل كل شيء عنده وفى مقدوره للحق وفى سبيل الحق . ولم يكن السيف فى يده إلا مشرط الجراح يبتر به ما فسد من الأعضاء ، ولم تكن الأسنة إلا الإبر التى ينزل بها الطبيب مكان الداء ليخرج أذاه . وليس بدعاً من الحوادث حادث الهجرة وما لابسه إذا عُرض على مقاييس العقول واعتبر الناس بسنن الاجتماع وهديه . ولا تزال هذه السنن مستمرة فى هذه الحياة ؛ ولا زالت تعمل عملها وتحدث أثرها . والعاقل من يعتبر . « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »

وقد سار النبي صلى الله عليه وسلم على هذه السنن ، وامتاز بأكمل ما امتازبه الأنبياء وكبار الدعاة إلى الحق من اليقظة والحكمة ، وتخير الأوقات والأمكنة ، واختيار الأصحاب والأنصار . ولم ير الاكتفاء بالحجة والبرهان فى مواضع لا تنفع فيها الحجة ولا يقنع البرهان ، بل أعمل الحيلة وأدار الرأى وطلب القوة فى مظانها . لذلك كانت الهجرة ، وبذلك أدرك ما أراد . فظهر الإسلام وبسط ظله على أمم قوية كثيرة العدد والعُدد ، وحوّل أولئك الأميين إلى أئمة هدى وولاة عدل وفقهاء نفس وساسة يفخر التاريخ بهم ، وعلماء تروى آثارهم ويتحدث الناس بطيب أخبارهم ، وأساة للإنسانية وجروحها تتفجر منهم ينابيع الرحمة ويضمون نظم الإصلاح وقواعد الاجتماع . رفعوا قدر العلم بعد أن أنكروه ، وجعلوا العقل هادياً ومرشداً ، والقرآن إماماً . لم يخونوا أمانات الله ورسوله فأحياهم الله حياة طيبة ، وأعدّ لهم مكان صدق عند مليك مقتدر

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون . يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »

محمد مصطفى المراغى

البحث عن غد

للأستاذ عباس محمود العقاد

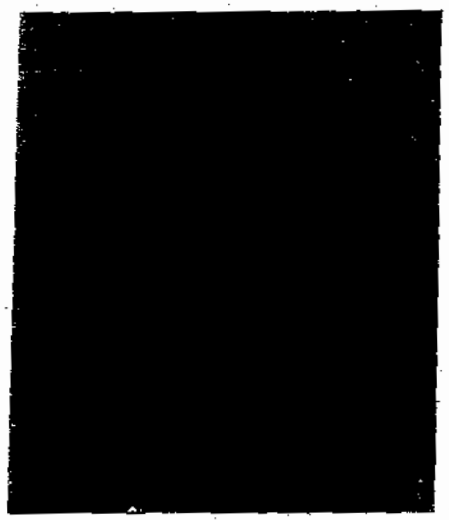

الغربيون اليوم معنيون بالبحث فى مسائل الشرق من جوانبه كافة : من جانب السياسة ، لأن نهضة شعوبه تضطرهم إلى حسبان حسابه والعدول عن خطة استغلاله والسيطرة عليه ؛ ومن جانب الدين ، لأنهم حائرون فى شئونهم الروحية يلتمسون الهداية من مهبط الأديان ، أو يقابلون بين سلطان الدين عليه وسلطان الآراء الحديثة عليهم ؛ ومن جانب التجارة ، لأن العلاقات التجارية بين الدول الكبرى لا تستغنى عن أسواق الشرق ومنابع الثروة فيه ؛ ومن جانب السياحة والرحلة واستكشاف مواقع التاريخ القديم ، وكل جانب تتحول إليه عناية الباحثين فى مسألة عامة

ومن الباحثين الصحفيين المشغوفين بالمسائل الروحية « روم لاندو » صاحب كتاب « الله محجة مناصراتى » ، وصاحب هذا الكتاب الذى عنوانه « البحث عن غد » ، وموضوعه استطلاع أحوال الشرق القريب من جانب الدين والنهضة النفسية إن صح أن نطلق عليها هذا الاسم تمييزاً لها من النهضة العلمية البحت والنهضة الصناعية الاجتماعية التى تقابل نظيرتها فى الأقطار الغربية

حضر إلى مصر وتحدث فيها إلى رجالات الفكر والسياسة ولخص هذه الأحاديث فى كتابه ، وسنعرض لها جميعاً ، ونبدأ بنقل حديثه مع رئيسى الجامعتين الأزهرية والمصرية ، حيث قال بعد تمهيد طويل للحديث مع صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ

(1) Search for Tomorrow, by Rom Landau